هنا في المكلا لا مكان إلا للغة الفرحة، اللغة المعطرة بالحب والجموح، المغموسة بالزهو اليومي المرسومة بعيون الأطفال والصبية والكبار، عيون تعيش مساحة الفرح في حضور نشوة التوحد الخلاقة.. تطل على المكان لترسم لوحات بانورامية جذابة يتلقفها البحر والجبل والإنسان فتزيد المكان استثنائية غير معهودة.. يا الله كم أنت يا حضرموت بهية تتهيئين كوردة لاستقبال ربيعها الموشى بلون العيد...

لقد قيل الكثير عن تهيئة حضرموت لاستقبال العيد الـ١٥ للوحدة اليمنية المباركة، لكن اللوحة «أعراس الجذور» الاحتفالية موقع خاص من خانة استعداد المكلا للحدث بما ستجسده من رؤية تراثية فلكلورية تاريخية وطنية تعبيرية.. يقدمها نحو ٧٥٠٠ شاب وشابة والتي تأتي الى جانب لوحة أخرى يقدمها ٤٣٥٠ طالباً وطالبة..

استطلاع من المكلا/عبدالله محمد حزام

استعدادات تسابق الزمن ..

حضرموت تجسد فرحة العيد بلغة مختلفة

وللاطلاع على تفاصيل الحدث ننقل من الميدان فكرة العمل وأهدافه وطريقة تنفيذه ومكوناته.. ولكن قبل ذلك يدلي بعض القائمين على العمل بانطباعاتهم .. حيث يقول عبدالله هادي بهيان- وكيل وزارة الشباب والرياضة- عضو لجنة الاحتفال بالعيد الـ١٥ للوحدة: لوحة أعراس الجذور عمل فني ثقافي جماعي ميداني استعراضي يحمل رؤية تراثية فلكلورية تاريخية وطنية تعبيرية عن اليمن كعمق حضاري واستراتيجي في صلاته بالعالم عربياً وإسلامياً وإنسانياً، ويبرز تأثير الوحدة الاقليمي والداخلي..

وبمقاربة أبلغ يعتبرها وكيل وزارة الشباب والرياضة رسالة محبة وإخاء ومودة وسلام ترنو الى تعزيز قيم اللحمة الوطنية ومحبة اليمن التي تنطلق هذه المرة من حضرموت الإنسان والتاريخ..

ويراها عباس الديلمي- رئيس قطاع الاذاعة وعضو لجنة الاحتفالات عملاً يمثل خصوصية حضرمية في الأعم بالاضافة الى مزج عام قد يلخص خصوصية الموروث اليمني في بعض جوانبه..

فكرة وهدف العمل

● على الواقع يتحدث مخرج العمل فنياً فريد الظاهري : يقدم العمل بوصفه وحدة أو بنية كبرى ذات لوحات موصول بعضها بالآخر، أداءً لرسائل غير مباشرة بلغة الفن والأدب تصل الجذور بالأغصان والأغصان بالجذور، والجهات بالجهات ماضياً وحاضراً ومستقبلاً في تطلع الى غد مأمول مشترك أكثر بهاءً وسلاما وتنمية وبناء واعتدالاً وتسامحاً وحكمة، بما يجسد البعد الحضاري الوطني لمنجز الوحدة..

ويوضح الظاهري الهدف من العمل ويقول: يهدف العمل للاحتفاء بالذكرى الـ١٥ لقيام دولة الوحدة اليمنية، ودور القائد في تحقيقها، والتأكيد على العلاقة التاريخية الوثيقة لليمن مع محيطه العربي والاسلامي منذ فجر التاريخ، وإبراز روح المحبة والتسامح التي حملها اليمنيون أينما حلوا وارتحلوا، والإشارة الى دور جيل الوحدة في تحقيق التنمية والازدهار تحت لواء قيادتنا الحكيمة..

مدلولات خاصة..

● طريقة تنفيذ العمل فنياً لها مدلولات خاصة وحسب مخرج العمل توظف اللوحة الثراء التراثي المتنوع في اليمن «حضرموت نموذجاً» لتحقيق الأهداف المتوخاة من العمل عن طريق الرقصة والأغنية والشعر والموسيقى والحركة والتجسيد المسرحي والترميز والإيحاء والاشارة، في ومضات تختزل جملة مراحل في لحظة، تكسر حواجز الزمان والمكان لتتداخل الأزمنة والأمكنة بطريقة غير مألوفة لكنها منسجمة متآلفة..

العمل يحمل رؤية تراثية فلكلورية تاريخية وطنية تعبيرية عن اليمن

ويضيف الظاهري: العمل في جوهره قراءة فنية إبداعية للتاريخ والثقافة والحضارة والتراث مركزاً على إشارات دالة فيه تبرز الفكرة واضحة وترتقي بذوق المتلقي، فلا تخاطبه بطريقة سطحية مباشرة أو دعائية.

مكونات العمل

● ويتكون العمل من لوحات تتجلى فيها ومضات تاريخية ثقافية حضارية لليمن بالصوت والحركة والموسيقى والشعر والغناء والاضاءة والمؤثرات والخلفيات لتجسيد الأهداف المنشودة من العمل الفني، وإبراز بعض الملامح التاريخية والطبيعية من مناطق شتى ذات خصوصية تاريخية وآثارية تمثل اليمن وتهدف للترويج السياحي والاستثماري وذلك بالاشارة الى تلك الومضات «كالهجرين- سدة العيدروس- شبام- دم الأخوين- مشاهد من سقطرى- باب اليمن- وبوابة عدن وغيرها» وعند هذه النقطة يقول فريد الظاهري: يسبق العمل مقدمة ترحيبية تمهيدية للدخول في لوحات العمل الأساسية المتوزعة على قسمين كبيرين الأول استلهام التاريخ الحضاري والثقافي لتحقيق الأهداف الرئيسية للعمل، وثانياً: لإظهار البهجة والفرح بأعياد الوحدة، وتوظيف الفلكلور لذلك.. على أن يستغرق تنفيذه «٤٠» دقيقة في ساحة الاحتفالات في مدينة المكلا و٢٢ مايو ٢٠٠٥م...

الرقصات

● وتقول سلمى الظاهري- مصممة الرقصات: يمثل الرقص الشعبي ما تمثله الأغاني الشعبية من تمثيل عن روح الشعب فهو في محتواه وشكله ولونه صورة من تاريخ عريق تجلت فيه الأفكار والحركات في حركات موقعه..

والرقص الشعبي في محافظة حضرموت فن جميل وأصيل وثيق الارتباط بالبيئة والحياة وصورة صادقة وعفوية عن منبته.. ناسه.. أفكارهم عاداتهم، فن يتسم بالتنوع والثراء بألوانه وتشكيلاته وإيقاعاته وأغانيه بفعل التنوع البيئي والمناخي فمساحة حضرموت تمثل ٢٩٪ من مساحة الجمهورية اليمنية الكلية.. هذه المساحة الشاسعة أدت الى تنوع العادات والتقاليد.. فهو في المدينة غيره في الريف والبادية وهو في الساحل غيره في السهل ووادي حضرموت..

وتتابع: من أهم الرقصات التي يقدمها العمل الاستعراضي «أعراس الجذور».. رقصة «بني مغراه»..

وهي من أشهر رقصات وادي حضرموت ويرقصها الناس في تريم، شبام، دمون، وادي بن علي.. وهي من رقصات قناصة الوعول.. وكلمة بني مغراة كلمة مركبة فبني هم القوم والمغراة الحبل أو السلسلة التي تعلق في رقبة كلب الصيد، وهي كلاب مدربة تسمى بالكلاب السلوقية التي تطارد فريستها ويحتفل الناس بإقامة هذه الرقصة بعد رحلة الصيد البري الوفير ابتهاجاً بالقنيص.

– «رقصة الرزيح»: من الرزحة على الأرض.. وهي تؤدى إما ثابتة أو متحركة كما يفعل المتوجهون الى زيارة بني الدهو، وهي خاصة بالفلاحين ويحملون مع الرقص إما عصياً غليظة أو شريماً «منجل» وهو ما يستعمل أثناء قطع المحاصيل، وتشتهر مدينة تريم بهذه الرقصة التي تعتبر مركزها الرئيسي.

– «رقصة نعيش البقارة»: والبقارة هم العمال الزراعيون الذين يعملون في الأرض بالأجر اليومي بالأبقار وهم أكثر ارستقراطية من البدو في ملبسهم.. ويتميزون عن الآخرين بطول شعرهم الذي يصل الى أكتافهم ولهم رقصاتهم الخاصة كالنعيش. وهي الرقصة الوحيدة التي ينعش فيها الرجال ويؤدونها في لحظات المساء والسهرة ومناسباتهم الخاصة..

– ثم «رقصة الزربادي»: وكلمة زربادي هي أسرة مستوطنة مدينة الغرفة قرب مدينة سيئون في وادي حضرموت وهذه الأسرة تناوبت الرقصة أباً عن جد وهي رقصة رجالية وهي الرقصة الوحيدة التي لا توجد فيها مساجلات بين الشعراء وتسمى في سيئون برقصة آل باصالح.. وفي تريم «آل بطيق» وفي شبام آل باشرحيل وكلها أسر ارتبطت بهذه الرقصة، وهي عبارة عن زفين يرقص اثنان داخل المداره في شكل حلزوني وتسمى في عُمان بالشرح، وفي الكويت بالصوت الكويتي ولكن أسرع الحفيف «الريض» كما أشار الكاتب محمد بن هاشم وهي رقصة تمثل المجتمع المتحضر من رقصات الزفين الرجالية.

الكاسر والشبواني

● وتأتي «رقصة الكاسر»: فقد لعب البحر دوراً كبيراً في تشكيل طابع الحياة الاجتماعية التي عاشها أبناء اليمن، كما كونت فنون البحر سمات خاصة يتميز بها الفن الشعبي سواءً كان في مجال الفنون التعبيرية أو التشكيلية والفنون التطبيقية والصناعات الوطنية ومن أبرزها صناعة السفن.

وكلمة كاسر يقصد بها كسرة الدفوف «الطارات» التي هي سمة مميزة لهذه الرقصة، والرقصة عبارة عن رحلة يقوم بها البحارة وعلى ظهر السفينة يمارسون رقصاتهم الإبتهالية التي يدعون فيها الخالق عز وجل أن ينجيهم من أهوال البحر وخاصة وأن السفينة تعتمد على الشراع والذي يمثل مرحلة قبل أن تعرف اليمن مكتبة السفن وتعتمد السفينة على دفة رياح الزيب.. وعندما يتاخر موعد السفينة تخرج النساء الى شواطئ البحر يؤدين رقصة تسمى «التجلوب» وهي عبارة عن ألحان ابتهالية يدعين المولى عز وجل أن يحرسهم من أهوال البحر ليصلوا سالمين غانمين، وهذه الرقصة قريبة في ألحانها وآلاتها الموسيقية الى رقصات البحر التي يمارسها البحارة في منطقة الخليج والبحر الأحمر وتسمى في الخليج برقصة «النهام»

–«رقصة الشبواني»: وهي أكثر الرقصات في حضرموت أصالة وكلمة شبواني مشتقة من الحيوية والشباب اللذين يبرزان من خلال الحركات الجماعية التي يؤديها الراقصون وهي من رقصات المدن التي يمارسها أبناء المدينة.. وتعتبر مدينة المكلا المركز الرئيسي لهذه الرقصة كما وصفها المستشرق البريطاني «سارجنت» عام ٤٧م عندما زار مدينة المكلا، ويسبق الرقص مساجلات شعرية من قبل شعراء المداره «الحلقة» الذين يرتجلون الشعر ارتجالاً وهم يمثلون شعراء الطبقة الأولى، وعندما ينتهي الشعراء من مساجلاتهم الشعرية ينقسم الجميع الى قسمين في صفوف منتظمة متقابلة لتجسيد الوحدة والتضامن من خلال هذه الصفوف وهي رقصة تمثل مجتمع المدينة المتطور، وتعتمد على الايقاعات الطبل والمراويس، وهي من الرقصات الرجالية التي لا تشارك فيها المرأة.. وتتنوع رقصات لوحة «أعراس الجذور» لتلخص نماذج تراثية بديعة مثل:

– «رقصة الدحيفة»: وهذه الرقصة من أسرع الرقصات في غنائها ورقصها وايقاعاتها وتشتهر بها مناطق دوعن والمشهورة بالعسل، وتهتم أشعارها بنزول الأمطار والسيول والعسل الدوعني المشهور.. وتعتمد في غنائها على لون من الغناء السريع يسمى «اللون الجزعي» ويشكل الراقصون صفين مقوسة وتلعب المرأة الدور الكبير في هذه الرقصة وربما كلمة الدحيفة هي مرادفة لكلمة «المعيسي» كما يحلو للبعض تسميتها في بعض مناطق دوعن وتعتمد كثيراً على الغناء الجماعي والإيقاع السريع..

المهرية والقطيني والمسيرة

● «رقصة المهرية»: وهي من محافظة المهرة المتاخمة مع سلطنة عمان.. وتسمى الرقصة أيضاً برقصة الحمامة... لأن المرأة تشبه الحمامة في مشيتها عند أداء هذه الرقصة.. وتمسك الراقصة التي تمشي في مشيتها مشي الهوينى ظفيرة من شعرها لأن مقياس جمال المرأة عند المرأة بطول شعرها وهو المقياس الحقيقي للجمال وهي من الرقصات المشتركة الهادئة التي تؤدى بهدوء وهي جميلة في رقصها الهادئ وفي ملابسها.. وربما تشبه بعض الرقصات العُمانية بطبيعة حكم الجوار بين هذه المحافظة التي تمثل جهة الشرق ولها حدود مشتركة مع سلطنة عمان..

– «رقصة القطني»: وكلمة قطني مشتقة من القطن إحدى المدن الرئيسية في وادي حضرموت وهي رقصة من رقصات المزارعين الذين يؤدونها في ساعات المساء والسهرة بعد يوم شاق من العمل أو في مواسم الحصاد..

وتلعب المرأة دوراً كبيراً في الرقصة، وهي الرقصة الوحيدة التي لا يوجد لها شعراء ولا مساجلات شعرية وتعتمد أساساً على آلة المزمار وقطع الخشب التي يستعملها الراقصون أثناء الرقص وهي من الرقصات الجميلة العنيفة في أدائها وتجسد بحق هذه الرقصة الجميلة حلبة الرقص حيث يلتقي الراقصون في شكل دائرة ترقص الراقصة داخلها ويتبعها راقصان وهي رقصة فيها كثير من الإثارة أثناء الرقص وهي من الرقصات التي تشتهر بها مدن وادي حضرموت.

– «رقصة المسيرة»: والتي تشتهر بها المناطق التي تقام فيها الزيارات السنوية ويخرج الناس في مواكب يمشون من أماكن سكنهم الى هذه الأضرحة التي تبعد أحياناً ساعات طويلة.. والرقصة من الرقصات القديمة لأنها تمارس قبل أن يعرف أبناء حضرموت السيارات الوسيلة الوحيدة للمواصلات وهي رقصة سريعة عبارة عن مواكب متحركة الى مكان الحدث..

٧٥٠٠ شاب وشابة يجسدون روح المحبة والتسامح في اليمنيين على مر التاريخ

وتمارس مثل هذه الرقصات أيضاً عند نقل المريض من منطقته الى حيث يمارس بعض الناس الطب الشعبي، وهي رقصة تعتمد على الايقاعات السريعة والغناء الجماعي السريع في كلمته وفي ايقاعاته وتعتبر منطقة «حجر» وبعض مدن وادي أكثر شهرة بهذه الرقصة..

غزارة

● يتميز الغناء في حضرموت بغزارة الضروب الايقاعية وبتركيبها المعقد في تناغم عمودي جميل ويستعمل في الغناء الآلات التالية:-

«الهاجر، المراويس، الطاسة، الدنبق، الرق، الطار، الخلخال، الحزام، القضة، والتصفيق بالأيدي.. وكذا حركة الأرجل»..

أما أوزان الغناء وخاصة التراث لا تقاس بحوره علي التفعيلة الخليلية بل بعدد أشطره مصاريفه وهي دائمة الاختلاف وتعتمد على المد اللحني فيقال «مثنى، مثلوث، مربوع» الى مثمون..

– وفي هذا الخضم تظهر «رقصة الهبيش»: وكلمة الهبيش.. تهبش القوم أي تجمعهم من أكثر من قبيلة وهي من رقصات البادية.. وعندما يزحف أبناء البادية مع أسرهم الى قرب المدن حيث توجد بساتين النخيل تعلم إبن المدينة هذه الرقصة وارتبط مع ابن البادية، وأصبح يكن كل واحد للآخر الحب والتفاهم بعد قطيعة يرى من خلالها وأن كل واحد قريب من الآخر بعد كره شديد وأصبحت هذه الرقصة من أجمل رقصات ابن البادية وابن المدينة، وتلعب المرأة البدوية الدور الكبير في إثراء هذا اللون من الفن المشترك مع الرجل..

اللوحة تؤكد العلاقة التاريخية الوثيقة لليمن مع محيطه العربي والاسلامي